محمود المناسترلى

كنت ضابطا فى السجن الحربى، وكلفت من قيادة ثورة يوليو أن استعد لاستقبال الضباط أعداء الثورة. وبعدها بفترة وعندما انقلب عبد الناصر على حلفاء الأمس من الشيوعيين. أخذوا منى مفتاح الزنازين وادخلونى فى زنزانة واغلقوا الباب على. وهكذا تحولت من سجان إلى سجين.
محمود المناسترلى (فى حوارى معه)

عندما أتى محمد على باشا إلى مصر، أتى معه عدد من الضباط لعل أشهرهم كان حسن باشا المناسترلى الذى أصبح واحدا من صناع العسكرية المصرية، وأصبح بالضرورة كقائد كبير فى جيش الوالى مالكا كبيرا وارستقراطيا مرموقا. ويتوالى مسلسل العسكرية فى الأسرة فابن حسن باشا هو محمود فؤاد بك المناسترلى ويتمرد الحفيد محمد بك كمال المانسترلى على النزعة العسكرية، فقد تغلبت عليه نزعات رومانسية دفينة. تخرج من مدرسة الزراعة العليا ولم يتوظف فالأصل ألا يتوظف الارستقراطيون ليعملوا فى مكان واحد مع ابناء الفلاحين، واكتفى كمال بك بالعناية بزهور حديقة القصر الرائع الذى يعيش فيه والمتربع حتى الآن فى أجمل بقعة من نيل القاهرة عند مقياس الروضة، وأمضى وقته بين زهوره والعزف على العود والرسم والقراءة فكان وباختصار ارستقراطيا حقا . أما الابن محمود فيمرح فى ربوع هذا القصر الفخم ويدخل المدرسة الناصرية مدرسة ابناء الذوات فى هذا العصر. وتصاب الأم بالربو ونصح الأطباء بأن تعيش فى حلوان حيث الجو جافا، وفى مدرسة حلوان الثانوية التقى محمود ارستقراطيا آخر هو أبو بكر حمدى سيف النصر ابن وزير الحربية وهو ايضا من اصل تركى وذا قرابة بالاسرة المالكة. والطالب محمود يعيش كأى ارستقراطى خلى البال يلعب الهوكى والملاكمة وكرة القدم ثم يهوى بعد ذلك جمع طوابع البريد وتربية العصافير الملونة، وعندما

حصل على شهادة الثقافة وطلبت الكلية دفعة استثنائية بشهادة الثقافة تقدم وقبل على الفور فجده مؤسس المؤسسة العسكرية المصرية ووضعه الارستقراطى يرشحه ،هو رياضى مرموق وفوق هذا وذاك هو وساطة حمدى باشا سيف النصر وزير الحربية، ويتفوق محمود فى الكلية ويتخرج ويكون ترتيبه الأول على الدفعة ويوزع على السلاح الذى اعتاد أن يضم ابناء الارستقراطية «سلاح الفرسان» وتأتى حرب فلسطين فيحارب بشجاعة لفتت إليه الانظار لكنه عاد ككثير من ضباط الجيش ممتلئا غيظا وسخطا على فساد الأسلحة وفساد القيادات وفساد التخطيط العسكرى. وأصبح وضعه قلقا فلا الهوكى يغريه ولا زى الفرسان المغرى يستهويه، أما وضعه الارستقراطى فقد أصبح عبئا عليه، وفيما هو مغلف بالحيرة أتاه صديق العمر أبو بكر حمدى سيف النصر بمصباح علاء الدين. جلسا معا جلسات طويلة حيث عرض عليه فكرا جديدا ورؤية جديدة لمستقبل مصر وشعبها وحلولا مقنعة للمشكلات الاجتماعية، حتى فساد الأسلحة وفساد القيادات العسكرية وعجزها فك طلاسمه ونسبه إلى نظام اجتماعى فاسد بأكمله، وباختصار أصبح سليل الارستقراطية العريقة اليوزباشى محمود المناسترلى شيوعيا وعضوا فى قسم الجيش التابع لمنظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو). وحافظ محمود على هذا السر فوضعه كضابط وصرامته العسكرية التى ورثها عن أجداده فرضت عليه أن يخفى سره حتى على زوجته خالدة (ابنة خالته وحبيبته منذ فجر الشباب) وحتى على أخيه ابراهيم الذى يعرف الجميع إنه كادر أساسى فى حدتو. ويبقى العسكرى عسكريا حتى صدر له قرار بأن ينضم إلى تنظيم الضباط الأحرار والاجابة تمام= يا افندم، وانضم إلى مجموعة الفرسان تحت قيادة خالد محيى الدين.

وفى أحد الاجتماعات عرض خالد محيى الدين مشكلة وهى أن منشورات الضباط الأحرار التى كانت ترسل بالبريد إلى ضباط الجيش فى مختلف الأسلحة كان الأمن يصادرها فقد اكتشف أن العناوين تكتب بالآلة الكاتبة تلافيا لأن يتعرف خبير الخطوط على اسماء الضباط الذين كتبوا العناوين والمطلوب هو أن يتطوع ضابط غير معروف بانتمائه للاحرار بكتابة العناوين بخطه وتطوع محمود واثنان من الضباط الشيوعيين، وكانت المهمة خطيرة لكن اليوزباشى كان يفيض حماسا وجرأة. ثم يكلف من حدتو بالحصول على أسلحة وذخيرة تحتاجها كتائب «الأنصار» التى شكلها التنظيم للقتال فى

منطقة القنال ضد الاحتلال عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦، ثم طلب منه تدريب الرفاق فى كتائب الانصار وفعل كل ذلك بكفاءة وحماس وسرية تامة. وتأتى ليلة ٢٣ يوليو (١٩٥٢) وهو ضابط فى السجن الحربى ويكلف من قيادة الثورة بتأمين السجن استعدادا لاستقبال أعداء الثورة، ثم تتراكم مساحات التباعد بين حدتو وثوار يوليو. اعدام خميس والبقرى، القبض على عدد من الرفاق، ويفاجأ محمود برفاق من قيادة حدتو فى زنازين السجن الذى يقوم بالعمل فيه وفكر فى أن يستقيل أو أن يطلب نقله لكن امرا من القيادة الحزبية أتاه بالبقاء ليكون همزة وصل بين الرفاق المسجونين عنده ورفاق الخارج. وتأتى هبة مارس ١٩٥٤ ويقف مع ضباط الفرسان تحت قيادة خالد محيى الدين ويجاهر بمساندته لهم ضد مجموعة جمال عبد الناصر، وعندما يمسك عبد الناصر بزمام الأمور يصدر قرارا بإحالة اليوزباشى محمود المناسترلى إلى الاستيداع، ثم أخذوا منه مفتاح زنازين السجن الحربى ووضعوه فى واحدة منها، وأصبح سجينا لكن اصدقاءه الضباط يغضبون فيتقرر تحديد اقامته فى بيته وهنا فقط عرفت خالده واخوه ابراهيم أن محمود شيوعى، وكان معاش محمود ٢٨ جنيها وبها كان يتعين أن يعيش الارستقراطى، ورفض محمود بكبرياء أن يطلب عملا كما فعل ضباط كثيرون اصبحوا سفراء أو كبار موظفين ورفض بكبرياء أن يتدخل أى انسان ليطلب له ذلك،

ويأتى العدوان الثلاثى(١٩٥٦) ويتولى قيادة المتطوعين زميل قديم فى الجيش هو كمال رفعت ويرتدى محمود الكاكى من جديد، وفى طويحر أقام محمود وزملائه معسكرا ليحموا بوابة مصر أمام أى عدوان يأتى من المحتلين فى بورسعيد أو المحتلين فى سيناء. وينتهى العدوان فيخلع الكاكى ويعود ليمارس نشاطه السرى. وفى ١٩٥٩ يقبض عليه ويقدم مع عديد من الرفاق أمام محكمة عسكرية، استشعر ضباط المحكمة الحرج فهم أمام زميل لهم، شارك فى صنع الثورة وشارك فى صد عدوان ١٩٥٦ وهو يتحدى كل شىء بكبرياء وشجاعة ومع ذلك حكموا عليه بالسجن ثمانى سنوات اشغال شاقة. واستشعر عبد الناصر الحرج أمام بقية الضباط الأحرار فلم يصدق على الحكم ثم أفرج عنه بعفو صحى. هو الآن خارج السجن مرة أخرى ومرة أخرى يلتقى زملاء العمل من الضباط الاحرار كمال رفعت- الجيار- صلاح زعزوع وغيرهم، كانوا يتولون مواقع مهمة ويلحون عليه فى أن يكتب لعبد الناصر طالبا وظيفة أو على الأقل زيادة المعاش ويرفض. ويظل

يبيع ما ورثه قطعة قطعة ليعيش فى مستوى يغيظ به عبد الناصر. وعندما يؤسس خالد محيى الدين المجلس المصرى للسلام يعمل معه محمود بكفاءة وإخلاص.

وفى عام ١٩٦٤ يفرج عن الشيوعيين ويتقرر توظيفهم ويجدها كمال رفعت فرصة لإحراج عبد الناصر نحن نوظف الشيوعيين فلماذا لا نوظف زميلنا فى الضباط الأحرار؟ ويعين محمود مديراً فى شركة العبوات الدوائية.

وتمضى الأيام والفارس يسهم بإخلاص وحماس فى المجلس المصرى للسلام ويعيش على الدوام حلم الاشتراكية الجميل، وعندما يقع الزلزال الاشتراكى وتدخل الاشتراكية فى محنة انهيار الاتحاد السوفيتى يغلفه حزن عميق لم ينقطع. كان دوما مبتسما فاختفت الابتسامة، وكان قادرا على أن يتغلب على الحزن لكنه هذه المرة أراد وعن تصميم أن يهزمه الحزن. ورحل محمود المناسترلى وهو لم يزل يحلم بأن يسترد حلمه الجميل، الاشتراكية.